عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية

الإنصاف خلق إسلامي

مهما حاول الإنسان أن يكون سهلا وطيبا وعادلا في التعامل مع الآخرين، فإنه سيجد حتما من يختلف معه ولا يتوافق مع أفعاله وأفكاره وتوجهاته؛ لأن الخلاف والاختلاف أمران موجودان ولا يمكن منع حصولهما مهما كانت النية صادقة والفعل حسنا؛ بسبب التباين في توجهات البشر وأفكارهم وأمزجتهم. لذلك، لا ينبغي الضيق والانزعاج من وجود اختلافات مع الآخرين، لكن المهم هو ألا تتسع هوة الخلاف، وأن يتم العمل على محاولة تضييقها للوصول إلى نقطة التقاء مشتركة يمكن من خلالها إيجاد حل من دون أن تتطور الأمور إلى ما لا تحمد عقباه. فمهما كانت الاختلافات مع الآخرين كبيرة، فإنه يمكن تقريب الأفكار وإيجاد الحل المناسب، فالصواب والخطأ موجودان لدى كل البشر، وكلنا معرضون لارتكاب الأخطاء، التي لا يمكن تجاوزها إلا من خلال التركيز على الإيجابيات ومحاسن الأمور والابتعاد عن السلبيات وإظهار المساوئ. ولعل أول أمر يجب القيام به عند التعامل مع المخالفين والخصوم هو عدم تضخيم الأخطاء وإعطائها أكبر من حجمها، بل يجب وضعها في إطارها الحقيقي. وكذلك إدراك أن الناس ليسوا في مستوى واحد في المعرفة والسلوك والأفكار واحترام الآخرين، إنما لكل منهم مزاجه وطبيعته. لكن كلما اعتمد الإنسان منهج الإنصاف في أمور حياته، سيكون أكثر قدرة على معرفة حجم كل خطأ، فلا يحمل الأمور أكبر من طبيعتها، إنما يتعامل معها وفق مقدارها من دون تهويل وتضخيم. وهذا ما يجعله قادرا على وضع الحلول ومعالجة كل حدث. فمن الأسباب المؤدية إلى زيادة الخلافات بين الناس أنه لم يعد يتحمل أحد الخلاف في أي قضية مهما كانت بسيطة وقابلة للحل لعدم وجود رغبة صادقة في إنصاف المخالف والخصم. إنصاف المخالف خلق إسلامي واجب علينا الحرص عليه وتوسيع نطاقه ليشمل جميع الخصوم من دون النظر إلى أي اعتبارات أخرى. فالإنصاف خلق عظيم لأنه مبني على العدل، وقد علمنا القرآن الكريم هذا الخلق الرفيع في التعامل بإنصاف ليس مع الأصدقاء والمقربين بل حتى مع المخالفين، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة:٨).